الدراسات والأبحاث | Research Papers

الاستبدال في لغة القرآن الكريم
مقاربة نصية

Substitution in the language of the Noble Qur'an
textual approach

علي حفظ الله محمد ناصر [1] | Ali Hifdallah Mohammed Nasser

(١) أستاذ اللسانيات وتحليل الخطاب المساعد- جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية. البريد الإلكتروني:
Alihifdallah2016@tu.edu.ye

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث إلى بيان دور الاستبدال في اتساق النص وانسجامه، وذلك عبر تحليل نماذج من لغة القرآن الكريم وتسليط الضوء على أنواع الاستبدال الثلاثة: الاسمي، والفعلي، والجملي؛ مع ما بينها من تقارب في سياقات النصوص القرآنية أدت إلى ترابط أجزاء النص بعضه ببعض في مختلف السياقات التي وردت فيها ضمن بنية النص الكبرى؛ كما أنه يؤدي دورًا مهمًا في إقناع المخاطب وبخاصة عندما يرتبط الخطاب بالعقل والعاطفة الانفعالية؛ فضلاً عن الوسائل والعوامل اللغوية التي عززت من حجته لدى جمهور المخاطبين؛ وبناء على هذا الإطار فقد أسلمني البحث إلى انتهاج المنهج الوصفي التحليلي تضافرًا مع المقاربات والنظريات اللسانية في تحليل النص/الخطاب قصد اكتشاف دور الاستبدال في تحقيق الترابط النصي ونصية النص.

الكلمات المفتاحية: النص، الاتساق، الانسجام، الاستبدال، القرآن.

Abstract:

This research seeks to clarify the role of substitution in the consistency and consistency of the text, by analyzing models from the language of the Noble Qur'an and highlighting the three types of substitution: nominal, actual, and wholesale; With their closeness in the contexts of the Qur'anic texts, which led to the interconnection of the parts of the text to each other in the various contexts in which they were mentioned within the grand text structure; It also plays an

important role in persuading the addressee, especially when the speech is related to reason and emotional emotion; As well as the linguistic means and factors that reinforced his argument with the audience; Based on this framework, the research gave me a descriptive analytical approach in combination with linguistic approaches and theories in text/discourse analysis in order to discover the role of substitution in achieving textual coherence and textuality.

Keywords: text, consistency, harmony, substitution, Qur'an.

مدخل:

يعد الاستبدال أداة من أدوات التحليل النصي التي تنطوي اليوم تحت لسانيات النص وتحليل الخطاب، التي غدت رافدًا من روافد اللسانيات المعاصرة؛ إذ أحدثت نقلة نوعية من نحو الجملة إلى نحو النص؛ فجعلت من النص وحدة لغوية كبرى مستقلة دلاليًا؛ وقد عبر عن ذلك سعيد بحيري بقوله: "نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار النصية وقواعد ترابطها، بمعنى آخر للنص مهامٌ معينة لا يمكن أن ينجزها بدقّة إذا التزم حد الجملة"[٢]، وعليه فلسانيات النص وتحليل الخطاب تُعنى كثيرا بجميع مستويات اللغة؛ فتصف علاقاتها الداخلية والخارجية في الأبنية اللغوية حتى يتمكن المخاطب من تأويلها وفهمها؛ ضمن بنية النص الكلية؛ ومن هذا المنطلق تتمثل إشكالية البحث في مدى توافر الوسائل والأدوات التي أدت إلى ترابط أجزاء النص بعضه ببعض في مختلف سياقات الاستبدال التي ورد فيها ضمن بنية النص الكبرى وأكسبته سمة النصية، وسبب اختياري لهذا الموضوع يعود إلى أهميته وارتباطه بمسألة النظم القرآني وإعجازه التي تتجلى في ضوء نماذج من لغة النص القرآني لبيان مدى قدرته في تحقيق الاتساق التركيبي والانسجام الدلالي، وتحقيق سمة نصية النص، وفي هذا الصدد يمكننا تقسيم البحث إلى قسمين: الأول يعنى بتعريف الاستبدال لغة واصطلاحا؛ وعلاقته بالإحالة والحذف؛ والقسم الثاني يختص بأنواع الاستبدال الثلاثة؛ ويقع ذلك في ثلاثة مباحث؛ وسنبدأ بتعريف الاستبدال لغةً واصطلاحًا حسب ما يلي:

أولًا: الاستبدال لغة:

ورد عند الفارابي في ديوان الأدب: "وتبدل الشيء بالشيء: إذا أخذه مكانه"[٣]؛ فقد جعل التبديل أخذ المكان، أي إحلال شيء مكان شيء آخر؛ وأكده ابن سيده بقوله: "وتبدل

(٢) سعيد بحيري، علم لغة النص، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص:١٣٤.

(٣) الفارابي، إبراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب، تح: احمد مختار عمر، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ج:٢، ٤٥٨.

الشيء، وتبدل به، واستبدله، واستبدل به، كله: اتخذ منه بدلا. وأبدل الشيء من الشيء، وبدله: تخذه منه بدلا[٤]. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ وقد يأتي الاستبدال بمعنى التغيير، وهو أيضًا لا يكاد يخرج عن الدلالة الأولى في وضع شيء مكان آخر ومنه: "وتبدل الشيء: تغير؛ وأما قول الراجز[٥]:

فَبُدِّلَت والدَّهرُ ذو تَبَدُّلِ هَيفا دَبورًا بِالصَّبا وَالشَّمألِ

أي: ذو تبديل، وأبدلت الشيء بغيره؛ وبدله الله من الخوف أمنًا، وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببدل، واستبدل الشيء بغيره وتبدله به إذا أخذه مكانه. والمبادلة: التبادل، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله[٦].

نجد مما سبق أن الاستبدال له دلالتان: أحدهما الابدال بوضع شيء مكان آخر في موضعه، والثانية تغيير الشيء عن حاله، وإن لم يكن له بدل منه، فالتغيير في أية صورة ظاهرة تعد إبدالا عن حالتها الأصلية.

(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج:٩، ص: ٣٣٨.

(٥) المرجع نفسه، ج:٩، ص: ٣٣٩.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج: ١١، ص:٤٨.

ثانيًا:
الاستبدال اصطلاحًا:

يعد الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر[٧]، والاستبدال في ذلك شأنه شأن الإحالة، علاقة اتساق إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي والمستوى المعجمي بين التراكيب والجمل، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، ومن جهة أخرى فالاستبدال وسيلة أساسية في اتساق النص، يستخلص من كونه «عملية داخل النص»، أي أنه نصي، ومعظم حالات الاستبدال النصي قبلية بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، وبناء على ذلك يعد الاستبدال أحد أدوات الاتساق النصي[٨]، حد تعبير صبحي إبراهيم الفقي بقوله: "يعد الاستبدال من أهم عناصر التماسك والسبك النصي"[٩].

ويعرفه هاليداي Halliday بقوله: "هو إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص"[١٠]، ويسمى العنصر الأول عند هارفج: المستبدل منه، والعنصر الثاني الذي حل محله: المستبدل به، وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصية متتالية

(٧) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي-بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص:١٩.

(٨) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص:١٩.

(٩) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجا، مجلة علوم اللغة، ج: ٩، العدد: ٢، ٢٠٠٦، ص: ١٩.

(10) Halliday & Ruqaiya Hasan (1976), Cohesion in English. London Longman Group, p: 88.

فإنهما يقعان في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض، ويوجد في حالة الاستبدال النحوي بين المستبدل به والمستبدل منه مطابقة إحالية، ويُفهم تحت الإحالة في هذا الصدد العلاقة بما هو غير لغوي[١١].

وبناءً على ذلك يعد الاستبدال وسيلة مهمة في اتساق النص وانسجامه، بحيث يكون هذا العنصر المتقدم بديلا للعنصر المتأخر، ويصعب فهمها إلا بالعودة إلى ما هو متعلق به من وشائج سياقية ونصية داخلية أو خارجية، وهذا ما يجعله قادرًا على تحقيق الترابط والاتساق بين التراكيب داخل بنية النص الكبرى.

لذلك فهو وسيلة مهمة في تحقيق الاتساق والانسجام النصي لما له من قدرة على ربط العناصر النصية؛ إذ يؤدي السابق منها إلى اللاحق مما يحقق الترابط النصي بين التراكيب والجمل في النصوص؛ لذا يعد الاستبدال خطوة جلية ينبغي البحث عن أنواعه المتمثلة في الاستبدال الاسمي، والفعلي، والقولي أو الجملي، الذي يضفي على النص تلاحمًا واستمرارية تجعله يتماسك وينسجم فيما بين أجزائه.

وفي هذا المقام يمكننا أن نعرف كيف يسهم الاستبدال في اتساق النص؟ فيكمن الجواب عن ذلك في علاقة الترابط بين العنصرين المستبدل به والمستبدل منه، فهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه، ومن ثم يكمن الحديث عن الاستمرارية «أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما، في الجملة اللاحقة»، فإذا أخذنا مثلًا القول: "فأسي جد مثلومة؛ يجب أن أقتني [فأسًا] أخرى حادة"، فإذا كان العنصر [فأسًا] بوصفه مستبدلًا للعنصر «فأس»، فسوف نجد أن الفأس الأولى مستمرة في الفأس الثانية؛ وإن كانت الثانية مختلفة عن الأولى، إذ إن الأولى جد مثلومة، بينما الثانية حادة، «وهذا ما يدعو إليه الباحثان هاليداي ورقية حسن بالاستمرار في محيط التقابل»، بالإضافة إلى ما سبق هناك حقيقة أخرى تؤكد مسلمة الاستبدال في اتساق النص؛ وهي استحالة فهم ما تعنيه العناصر المستبدلة إلا بالعودة إلى ما هي متعلقة به قبليًا، وفي هذا العود يكمن ما يسمى لدى «هاليداي ورقية حسن» معنى الاستبدال: "إذ ينبغي البحث عن الاسم، أو الفعل، أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص؛ لأن العلاقة بين عنصري الإحالة «المحيل، والمحال إليه»، علاقة تطابق، أما العلاقة بين عنصري الاستبدال «المُستَبدَلُ، والمُستَبدَلُ به» علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد Repudiation، وعن هذا الاختلاف نتج التقابل في النص مما أدى

(١١) ينظر زتسيسلاف وأورزيناك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع-القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ص: ٦١.

إلى إعادة التحديد باستبعاد وصف وإحلال وصف آخر محله[١٢].

وبناءً عليه فإن المستبدل به يحتفظ بجزء من المعلومة السالفة، فيتضح أن العلاقة الاستبدالية لا تقوم على التطابق وإنما على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه الاستبعاد لبعض المعلومات دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق والترابط التي تقوم بها العناصر داخل النص، بل إن تلك العلاقة يُستمد منها القيمة الاتساقية.

علاقة الاستبدال بالحذف:

لا يختلف الاستبدال عن الحذف، إذ الحذف ظاهرة نصية لها دورها في انسجام النص والتحام عناصره، وشرطه في اللغة أن "لا يتم إلا إذا كان بناء الجملة بعد الحذف مُعينًا في الدلالة على معرفته، كافيًا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر: لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"[١٣]، وما يؤكد ذلك قول ابن جني: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه"[١٤]، وكذلك الاستبدال لا يختلف عن الحذف "باعتباره علاقة اتساق من جهة، ومن جهة أخرى كونه يتحقق بوجود عنصرين سابق ولاحق، لكن المظهر البارز الذي يميزه عنه هو أن عنصر الاستبدال يتشكل بوجود عنصرَيه بعلاقة حضور، بينما يتشكل الحذف بإلغاء أحد عنصرَيه، بعلاقة حضور وغياب في آن واحد، حضور المبدل منه وغياب المبدل، ولذلك يميل بعض الباحثين كما سبق إلى تسميته «استبدالاً صفريًا» أو الاكتفاء بالمبنى العدمي"[١٥]، وهذا ما ذهب إليه "هاليداي ورقية حسن، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرًا، وأثرها وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلّف أثرًا، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرًا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض مما يُمكِّنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف؛ إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثَمَّ نجد في الجملة الثانية فراغًا بنيويًا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادًا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق بتعبير الباحثين هاليداي ورقية حسن"[١٦].

علاقة الاستبدال بالإحالة:

يختلف الاستبدال عن الإحالة "في كونه يتم على المستوى النحوي والمعجمي داخل النص، بينما الإحالة تقع في المستوى الدلالي؛ فهي -إذن- تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص وتجسيدها وخلق علاقات معنوية

(١٢) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص:٢٠-٢١.

(١٣) محمد حماسة، بناء الجملة العربية، دار الشروق-القاهرة، ط١/ ١٩٩٦م، ص: ٢٠٨.

(١٤) ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د.ت، ج:٢، ص:٣٦٢.

(١٥) ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: ٣٤٠.

(١٦) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: ٢١.

من خلال تلك العناصر الإحالية"[١٧]، ومما يميز الاستبدال عن الإحالة -أيضًا- أن معظم حالاته قبلية، وذلك أن العلاقة فيه بين الكلمات تكون بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، يقول إبراهيم خليل في ذلك: "والفرق بين الاستبدال والإحالة، أن الثاني يحيل على شيء غير لغوي في أوقات معينة، في حين أن الاستبدال يكون بوضع لفظ مكان لفظ آخر لزيادة الصلة بين هذا اللفظ، وذلك اللفظ الذي يجاوره، وذاك اللفظ الذي يدل على الشيء الذي تقدم ذكره"[١٨]، وسنبين في الثلاثة المباحث الآتية أنواع الاستبدال في ضوء نماذج من القرآن الكريم ومدى تحقيق السمة النصية والترابط النصي بواسطة أداة الاستبدال؛ ونبدأ بما يلي:

المبحث الأول
الاستبدال الاسمي:

يتمثل الاستبدال الاسمي في استبدال أسماء بأسماء أخرى متقدمة عليها في النص[١٩]، نحو الاسم المفرد بالجمع، أو مصدر بمصدر، أو نعت بنعت، وسنبين ذلك في الآتي:

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف:٧٩]، وقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف:٩٣]،نجد أن الاستبدال في هذين السياقين وقع بين الاسم المفرد «رسالة» وجمعه « رسالات»، فورد المفرد في قصة صالح ﷺ في بعثته إلى مدين، وورد الاسم الجمع في قصة شعيب في قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾، وكأن شعيبًا قد بلَّغ كلًا من الأمتين المضمون الإجمالي لكل رسالة، وإن كانتا في حقيقة أمرهما حذوًا واحدًا من النفح الإلهي في خطاب الأمم، وعند النظر في كل ما ذكره صالح وشعيب -ﷺ- نجد أن ما ذكره شعيب من الأوامر والنواهي أكثر مما ذكره صالح؛ وهذا يتناسب مع لفظ الجمع "رسالات" في سياق قول شعيب الدال على اشتماله لكل رسالة قبله.

نلحظ من ذلك أن الاستبدال حقق قدرًا من الترابط والتماسك بين السياقين نظرًا لترابط السياقين بلفظة «الرسالة» واستبدال الأولى بالثانية في السياق بلفظ الجمع، وقد أفادت زيادة على ربط السياقين اشتمال الرسالة الثانية على ما جاء في الأولى.

ومن الاستبدال الاسمي استبدال المصدر بالمصدر في قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف:٧١]، وقوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤]، فقال: «إمرًا،

(١٧) أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية العلوم- جامعة القاهرة، د.ت، ص:١٤.

(١٨) إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص: ١٣٨.

(١٩) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: ٢٠.

ونكرًا» في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، والإمرُ: الداهية، يقال أصله: كل شيء شديد كثير، وأُمِرَ القوم: إذا كثروا واشتد أمرهم، وأَمَرَ الأمر: إذا عَظُم، وقيل: إنه العجب[٢٠]، والنكر: الأَمرُ الصعب، الذي تُنكِرُهُ العقولُ وتنفر عنه النفوس، وهو فيما لا يخفى أعظم وأشد من الإمر؛ لأن الإمر قد يستعمل في المذموم وفي غير المذموم، بيد أن النُكر لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف، وينكره العقل كالقتل بدون سبب ظاهر، أما خرق السفينة وهي تمخر عباب البحر حسب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١﴾، فقد كانت في نظر موسى أمرًا مذمومًا، ولكنه في نظر العبد الصالح لم يكن كذلك؛ لأن العيب فيها لا يتلفها، بل يزهد فيها من يريد غصبها، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهف :٧٩]، وكان عيبًا يمكن تداركه بالسَّدِّ؛ لأنه لم يؤدِ في ساعته إلى إغراق أحد من الركاب، وهو أهون لا محالة من قتل الغلام بغير سبب ظاهر، مما لا سبيل إلى تداركه[٢١]، ولمثل هذا قال قتادة: "النكر أشد من الإمر"[٢٢]، وهذا ما لا يدخل في باب الترادف عند اللغويين، في أصله كدخول

التحويل والتبديل مما يبدو في ظاهره مترادفًا، وهو في حقيقته متفارق في الدلالة القرآنية، على المقصود به كما في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر:٤٣]، فالنفي هنا بمعنى أنّ فروع الشّرائع- وإن اختلفت صورها- فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدّل، وهو تطهير النّفس؛ لأن الله أراد لها البقاء الدائم على وضعها، والتحويل يكون في الصورة مع نقاء الجوهر على حقيقته[٢٣]، والتبديل: جعل الشيء مكان آخر، وهو تغير في الجوهر كله أصلا وصورة، وكلتا الصفتين ممتنعة على سنة الله تعالى، فهي لا تتغير كما قضى لها أبدًا، وربما خُصَّت السنة بنفي التبديل والتحويل عنها في سياق واحد لمقابلة ما وصف الكفار قبل ذلك بوصفين اثنين.

نجد أن السياقين قد ترابطا واتسقا بفعل المناسبة واستبدال المصدر الأول بالثاني حسب الحدث المناسب له؛ فالتقارب بين المصدرين "إمرًا، ونُكرًا" مع تقارب الحدثين في زمن متقارب حد الاتصال، ولكنه استبدل الأول "إمرًا" بالثاني "نُكرًا"؛ نظرًا لتغير فعل الحدث مع شدته في نظر موسى عليه السلام، ولكن الثاني أهون من الأول عند العبد الصالح، جعل النص بذلك متسقًا ومنسجمًا.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ

(٢٠) ينظر محمد بن عبد الله الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة،ط١، ٢٠٠١م، ج:١، ص: ٨٧٨.

(٢١) ينظر الأصبهاني، درة التنزيل، ج:١، ص: ٨٧٩.

(٢٢) أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج: ٦، ص: ١٨٤.

(٢٣) الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم-بيروت،ط١، ١٤١٢هـ،٤٢٩.

وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٢-١٤]، وقال في سورة ق: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢-١٤]، في هذا السياق نجد أن اختلاف الترتيب وخاصة في خاتمة الآيتين: «فَحَقَّ عِقَابِ» في سورة "ص"، وقوله: «فَحَقَّ وَعِيدِ» في سورة "ق"، يعود إلى اختلاف فواصل السياقين، ففي سورة "ص" فواصلها مبنيّة على أن تُرْدَف أواخرها بالألف، إلا أن الآية في هذا السياق مختومةَ فاصلتها بالباء لشد انتباه المتلقي لوصف فرعون بذي الأوتاد وانتهى الوصف بـ: «فحقّ عقاب» وجاء مقابل له في سورة "ق": «وأصحاب الرّسّ وثمود»، فاستبدل: «فحقّ عقاب» بقوله: «فحقّ وعيد»، ليناسب خاتمة الآيات في سورة "ق" المنتهية بالدال؛ مما جعل النص مترابطًا في جميع أجزائه؛ وكذلك في سياق آخر مشابه له في قوله: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الصافات: ٤٨]، مقابل سياق ص في قوله: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص: ٥٢]؛ فجاءت فاصلة الصافات بالياء والنون؛ لأن فواصل الآيات في سورة الصافات مردفة أواخرها بالياء أو بالواو[٢٤]، وفي سورة ص ناسبت السياق المنتهي فواصله بالباء؛ وفي هذا ما يؤكد التماسك النصي بين أجزاء النص ضمن بنيته الكبرى، ومناسبة كل سياق لفواصل الآيات التي وردت فيها.

ومنه قوله تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٣-٣٧]، وقوله تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات: ٣٤-٣٥]، فقد وقع الاستبدال بين اثنين من أسماء القيامة «الصاخة، والطامة»؛ إذ أخذ اللفظان في السياق موقع الفاعلية، وجاء الأول فيهما مجردًا، والآخر موصوفًا، والصاخة كما قال ابن سيده: "صيحة تصخ الأذن، أي تصمها"[٢٥]، وفي التنزيل: "فإذا جاءت الصاخة"، فوصفت النفخة بالصاخة مجازًا؛ لأنّ الناس يصخون لها[٢٦]، وقد تقدم الآية في سورة عبس ذكر الحالات التي تحدث للإنسان من موت أو قبر ونشر، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ٢١-٢٢]، بالصوت الرهيب الذي تحدث النفخة التي تصم الآذان فيقضي الله -تعالى- عندها بإحياء الموتى. والطَّامَّةُ الداهية التي تطم على الدواهي، أي: تعلو وتغلب. وفي أمثال العرب: "جرى الوادي فطمّ على القرى"[٢٧]، وهي القيامة لطمومها على كل هائلة، ومنه سميت القيامة طامة[٢٨]؛ لأنها حد تعبير الفراء: "تطم على كل

(٢٤) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل، ج: ١، ص: ١١٠٢-١١٠٣.

(٢٥) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج: ٣، ص: ٣٦٧.

(٢٦) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج: ٤، ص: ٧٠٥.

(٢٧) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار الفكر-بيروت، د.ت، ج:١، ص: ٣٢٢.

(٢٨) الزمخشري، الكشاف، ج: ٤، ص: ٦٩٧.

شيء"[٢٩]، وإنما استعملت الطامّة الكبرى في هذه السورة؛ لأن فيها ذكر ما أوتي به فرعون من الطامّة الكبرى في الكفر حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، فهذه في الكبائر كشديدة الآخرة في الشدائد فكأنه قرن إلى ذكر الكبيرة الموفِيَة على أمثالها ذِكر الطامّة الكبرى وأهوالها[٣٠]، ومما يذكر هنا أن فاصلة الصاخة لا تتفق مع ما سبقها وما لحقها، وفاصلة الطامة الكبرى، لا تتفق مع ما سبقها، وهذا مما يسترعي النظر ويستدعي قدر أكبر من العناية، وهذا الخروج على نسق الآية مع وجود صوتي الصاد والطاء الشديدين مما يشخص هول الحدث بالجرس الصوتي فضلاً عن النبر، الذي يقع على موقع الإدغام في الصيغتين، فضلاً عن فاعلية الوصف في الآية الثانية، وبذلك جاء الاستبدال في الموضع الثاني عن اللفظة في السياق الأول مناسبا لهول الحديث عن يوم البعث فاختار له لفظة الطامة التي حقق بها قدرًا من التجانس والتماسك في سياق النص.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾ [المزمل: ١]،مقابل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ [المدثر: ١]؛ إذ استبدل في السياق الثاني المدثر بالمزمل، وهو استبدال نعت بنعت، والمزمل: "من تزمل بثيابه إذا تلفف بها؛ أي المزمِّل جسمه أو نفسه"[٣١]، ونحوه: المدثر، وقرئ: المتزمّل على الأصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها، على أنه اسم فاعل أو مفعول، من زمَّله، وهو الذي زمَّله غيره أو زمَّل نفسه، وكان رسول الله ﷺ نائمًا بالليل متزمّلًا في قطيفة، فنبّه ونودي بما هو عليه، أي الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن[٣٢]، نجد أن الوصفين قد حددت حالة الرسول صل الله عليه وسلم بدقة متناهية، فناداه أولا بالمدثر أي الملتف بثياب، سواء كان نائمًا أو غير ذلك، والمدثر هنا خالٍ من الأعباء والهموم، وهذا النداء كان في بداية البعثة قبل أن يتوالى الوحي وينوء بحمل الرسالة، ولكن عندما ناداه ربنا تعالى ووصفه بالمزمل فخص بهذه الصفة حالة الرسول بعد تحمّله للرسالة وأعبائها وجميع همومها؛ لأن أصل المزمل الحامل للعبء أو الثقل... كما ورد عند ابن فارس في مقاييس اللغة: "زمل" الزَّاءُ والميمُ واللَّامُ أَصلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى حَمْلِ ثِقلٍ مِنَ الأَثقَالِ، وَالآخَرُ صَوتٌ، فَالأَوَّلُ الزَّامِلَةُ، وَهُوَ بَعِيرٌ يَستَظهِرُ بِهِ الرَّجُلُ، يَحمِلُ عَلَيهِ مَتَاعَهُ، يُقَالُ ازدَمَلتُ الشَّيءَ، إِذَا حَمَلتُهُ[٣٣]، وما يؤكد ذلك قرينة قيام الليل الموالية له في هذا السياق، ولم يقل له مع المدثر "قم الليل"، فكأن ربنا

(٢٩) الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، ط١،ج: ٣، ص: ٢٣٤.

(٣٠) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل، ج: ١، ص: ١٣٣٢.

(٣١) ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص: ١٠٠.

(٣٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج: ٤، ص: ٦٣٤.

(٣٣) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج:٣، ص:٢٥.

يقول: يا أيها المتحمل للأعباء والهموم "قم الليل"، فالحل لهذه الأعباء والهموم في قيامه لا في النوم.

وعليه نجد مدى قدرة هذين الوصفين في تحقيق ترابط النص بعضه ببعض وتحديد كل سياق بما هو عليه من صفات ودلالات ظاهرية وضمنية.

المبحث الثاني: الاستبدال الفعلي:

يتمثل الاستبدال الفعلي في حلول فعل مكان فعل/أفعال متقدم عليه؛ لأن العلاقة بين اللغة والفكر جلية من خلال التعبير عن مقاصده بالتراكيب النحوية التي تضم في تكوينها الأدوات والصيغ بالتناسق الذي عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[٣٤]، لتؤلف الجمل التي تعرف بأنها " المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع"[٣٥].

والجملة في علم النحو هي "الركيزة الرئيسة في التحليل اللغوي"[٣٦]، وهي الوحدة اللغوية الأكبر في التحليل اللغوي؛ ذلك أن المكونات اللغوية تتضافر فيما بينها على وفق أصول مرعية تبلغ غايتها عند الجملة، وتعمل هذه الأصول متضامَّة بنظام من العلاقات؛ لأن "أجزاء الجملة مترابطة، فالجزء الواحد يقتضي الآخر في تنظيم علاقتي Linguistics، وتتجلى هذه العلاقات بشكل واضح في القرآن الكريم الذي يستبدل التركيب فيه بالتركيب كما تستبدل الأداة بالأداة، والصيغة بالصيغة، لتتحقق بوساطة ذلك المقاصد الدلالية والاتساق النصي في بنية النص الكبرى التي تناسب الأحداث والمواقف والدعوات ومعاني الأحكام الشرعية بالدقة الإعجازية التي لا تحد، كما هو سمت القرآن الكريم في كل أسراره اللغوية.

ومما تجب الإشارة إليه في هذا الموضع سعة وكثرة التعبير بالتراكيب الفعلية في النص القرآني بحيث لا يتسع البحث لاستيعابها جميعًا في هذا المقام؛ لأن التعبير بهذه التراكيب أصل من أصول بناء الكلام العربي، وسنفرغ في هذا المبحث لدراسة أنماط استبدال التراكيب، لنأتي بذلك على النوع الثاني من أنواع الاستبدال حسب الآتي:

(٣٤) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م، ص: ٤٩-٥٠.

(٣٥) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي-بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص: ٣١.

(٣٦) سلمان عباس عيد، تقويم الفكر النحوي عند اللسانيين العرب، دار الكتب العالمية بيروت، د.ت، ص: ١٢٠.

الاستبدال في الفعل الماضي:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧]، وقوله تعال:﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزمر: ٦٨]، استبدل «صعق، بفزع»، وقد عبَّر عن هذين الحدثين بالمعنى الماضي مع أنهما من الأحداث المستقبلية للإشعار بتحقق وقوعهما، وأنهما كائنتان لا محالة[٣٧]، فكما أنه لا شك في حدوث الفعل الماضي الذي تم وحصل، كذلك لا شك في حدوث هذه الأفعال التي هي بمنزلة الفعل الماضي في تحقق الوقوع، وأن ما يعتري الكلَّ عند البعثِ والنُّشورِ بمشاهدةِ الأمورِ الهائلةِ الخارقةِ للعاداتِ في الأنفس والآفاق من الرُّعبِ والتَّهيبِ الضروريين وإيراد صيغة الماضي مع كونِ المعطوفِ عليه أعني ينفخُ مضارعًا للدِّلالةِ على تحققِ وقوعِه إثرَ النَّفخِ ولعلَّ تأخيرَ بيانِ الأحوالِ الواقعةِ عند ابتداءِ النَّفخةِ عن بيانِ ما يقعُ بعدها من حشرِ المكذبينَ من كلِّ أُمَّة لتثنيةِ التَّهويل بتكريرِ التَّذكيرِ إيذانًا بأنَّ كلَّ واحدٍ منهما بالنسبة لله حدث في علمه وانتهى[٣٨]، وإنما جاء الفزع في النحل، والصعق في الزمر لمناسبة ما بعدهما في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فإن هذا مقابل الصعقة، في حين ختم آية النمل بقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ وهو المناسب للفزع؛ إذ معنى داخرين صاغرون، فناسب كل لفظ مكانه الذي وضع فيه، وأن سورة النمل خصت بقوله: «ففزع» موافقة لقوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾، وخصت الزمر «بالصعق»، موافقة لقوله: ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾؛ لأن معناه مات[٣٩].

والفرق بين الفزع والصعق في المعنى، أن الفزع هو الخوف والانزعاج الذي يعتري الإنسان من الشيء المخيف، والصعق: الموت عند الجمهور، قال الراغب: "إن الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو، ثم يكون منه نار فقط، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد، وهذه الأشياء تأثيرات منها"[٤٠]، ويبدو أن الموت سيكون من أثر الصعقة كما قال، فإذا سمع الناس النفخ في الصور وهو من الشدة بحيث لا تحتمله طبائعهم يفزعون عنده، ويصعقون ويموتون، وإنما قيل: في النمل: «ففزع» لمناسبة ما بعده، وقوله في آية أخرى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل:٨٩]، وقد ناسب بين ختام السورة وفاتحتها، وكذلك ناسب بين ذكر الفزع والأمن في الآية نفسها، علاوة على ما حققه من اتساق وانسجام في السياقين بفعل اختيار اللفظين في موضعيهما.

(٣٧) الأندلسي، عبدالحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبدالسلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج: ٤، ص: ٢٧٢.

(٣٨) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت، ج: ٦، ص: ٣٠٣.

(٣٩) ينظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار-عمّان،ط٤، ٢٠٠٦، ص: ١٧٩.

(٤٠) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٨٥.

ومنه قوله تعالى:﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦٢]، وفي السياق الثاني قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٩]، فذكر الإرسال والإنزال بفعليهما الماضيين، والفعل في البقرة وارد في سياق تعداد النعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل، أما في الأعراف ففي مقام تقريعهم وتأنيبهم، والإرسال أشد في العقوبة من الإنزال؛ لأن الارسال مقترن بالعذاب غالبًا، ومعناه هنا: التسليط[٤١]، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ [الفيل: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات: ٤١]، وقد وقف الفخر الرازي عند الفرق بين الإرسال والإنزال، قائلًا: "لِمَ قال في البقرة: «فأنزلنا»، وفي الأعراف فأرسلنا؟ ثم أجاب بقوله: الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصاله لهم بالكلية، وذلك إنما يحدث في الآخرة"[٤٢]، ولا يخفى أن التعبيرين: «أرسلنا، وأنزلنا» يتقاسمان معنى مشتركاً، غير أنهما يختلفان في المعنى التنظيمي المعتمد على الرابطة التي تشد الكلمة على وقف دواع صريحة وإيحائية تبدأ من المعنى المعجمي وتنتهي بالمعنى السياقي الذي يواشج بين المقامات والحالة مواشجة دلالية ظاهرة أو خفية، مما يلمسه الإنسان بالتأمل والتذوق والبصيرة اللغوية النافذة، ومن هنا كان الإرسال متسقًا مع الظالمين من بني إسرائيل ليعلم أن الرجز قد سلط عليهم تسليطاً خاصًا بهم لتفاقم جرمهم بخلاف الإنزال وأخذ القوم وكأنه في اتساع الدائرة مما يخفف نوع العذاب الذي لحق بكل فرد منهم بوصفهم فسقة ليس إلا، وبرصد ما جرى من تحويل في مكونات التركيب الكبير في الآيتين، وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم والإرسال أشد وقعا من الإنزال فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة لذلك؛ وختم آية البقرة ب ﴿يَفْسُقُونَ﴾ ولا يلزم منه الظلم؛ والظلم يلزم منه الفسق فناسب كل لفظة منها سياقه[٤٣]؛ لأن الفسق لا يلزم منه الظلم، ولا الظلم يلزم منه الفسق، لذلك ناسب «أرسلنا، ويظلمون»، مقام سورة الأعراف، و«وأنزلنا، ويفسقون»، ناسب سورة البقرة، فضلاً عن كثرة استعمال كلمتي «رسول، ورسالة» في الأعراف دون البقرة، وما يمكن أن يتصور من اقتضائه لفعل الإرسال بوصفه نسقًا لغويًا ملحوظًا ومقصودًا في بناء السورة كلها.

ومن استبدال التركيب الفعلي الماضوي بنظيره أيضًا قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف: ٨٣]، وقوله تعالى:﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَآ

(٤١) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ،ج:١١، ص٢٨٥.

(٤٢) محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٣، ١٤٢٠هـ،ج: ٣، ص: ٥٢٧.

(٤٣) عبدالرحمن السيوطي، الإتقان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٤م، ج: ٣، ص: ٣٩٣، والسيوطي، معترك الأقران، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج: ١، ص: ٦٨.

مِـنَ ٱلۡغَٰبِرِيـنَ ﴿٥٧﴾ [النمل: ٥٧]، تقدم نظير هذه الآية في سورة الأعراف [٨٢] ، وخالفتها هذه بوقوع العطف بالفاء في قوله: {فما كان جواب قومه} دون الواو، وبقوله: {أخرجوا آل لوط} عوض {أخرجوهم} [الأعراف: ٨٢] وبقوله: ﴿قَدَّرۡنَٰهَـا﴾ عوض ﴿كَانَـتۡ﴾ [الأعراف: ٨٣] ، وبقوله: {فساء مطر المنذرين} عوض ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡـفَ كَانَ عَٰقِبَـةُ ٱلۡمُجۡرِمِيـنَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: ٨٤] ، فأما موقع الفاء هنا فهو لتعقيب الجملة المعطوفة بالفاء على التي قبلها تعقيب جزء القصة على أوله فلا تفيد إلا تعقيب الإخبار، وهي في ذلك مساوية للواو، ولكن أوثر حرف التعقيب في هذه الآية لكونها على نسج ما حكيت به قصة ثمود في قوله تعالى: ﴿فَـإِذَا هُـمۡ فَرِيقَـانِ يَخۡتَصِمُـونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل: ٤٥]، فالاختلاف بين هذه الآية وآية الأعراف تفنن في الحكاية، ومراعاة للنظير في النسج، وهذا من أساليب قصص القرآن. وكذلك قوله: {أخرجوا آل لوط} دون أخرجوهم [الأعراف: ٨٢] ؛ لأن المحكي من كلام القوم هو تآمرهم على إخراج آل لوط فما هنا حكاية بمرادف كلامهم وما في الأعراف حكاية بالمعنى والغرض هو التفنن أيضًا، وكذلك الاختلاف بين قدرناها هنا وبين كانت في الأعراف [٨٣] ، وأما الاختلاف بين فساء مطر المنذرين، وبين فانظر كيف كان عاقبة المجرمين [الأعراف:٨٤]: لأنهما عبرتا عن حالهم، وتفرع الوصف على ما حل بهم: فوزع التعبير على الآيتين لئلا يخلو تكرير القصة من فائدة[٤٤]،فذكر كينونة امرأة لوط في الغابرين، وما قدر لها أن تكون فيهم، والفرق كبير بين العبارتين «كانت، وقدرناها»: لأن فعل الكون ماض ناقص محتاج إلى اسم وخبر، وهو دال على أن بقاء المرأة مع المهلكين من قوم لوط لتهلك معهم كان بمحض إرادتها، بيد أن الجملة الأخرى بفعلها الماضي وفاعله ومفعوله دالة على أن هلاكها كان بتقدير من الله -تعالى- وعدله.

ومما يلحظ من أسرار العبارتين أن العلاقة القائمة بين كان وامرأة لوط في الأعراف علاقة خبرية «كان ← ت ← امرأته»، ويفهم من هذا أن الفعل المباشر هو من عند الله في القضية كلها، بدليل إسناد التقدير إلى نفسه تعالى بضمير الجمع «نا» هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن تقدير الله -تعالى- بإهلاك امرأة لوط مع من هلك قد جاء في سورة النمل بعد قوله على لسان قوم لوط:﴿فَمَـا كَانَ جَـوَابَ قَوۡمِـهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُـوٓاْ أَخۡرِجُـوٓاْ ءَالَ لُـوطٖ مِّـن قَرۡيَتِكُـمۡۖ إِنَّهُـمۡ أُنَـاسٞ يَتَطَهَّـرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل: ٥٦]، فقد خلع هؤلاء القوم رجاء الحياء، وجهروا بالفاحشة في الإنكار عليهم، وتقريعهم فقال تعالى:﴿وَلُوطًا إِذۡ قَـالَ لِقَوۡمِـهِۦٓ أَتَأۡتُـونَ ٱلۡفَـٰحِشَـةَ وَأَنتُـمۡ تُبۡـصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُـمۡ لَتَأۡتُـونَ ٱلرِّجَـالَ شَـهۡوَةٗ مِّـن دُونِ ٱلنِّسَـآءِۚ بَـلۡ أَنتُـمۡ قَـوۡمٞ تَجۡهَلُـونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل: ٥٤-٥٥]، فقابلوا لوطًا بالتصريح بإخراجه مع أهله، فكان تقدير الله -تعالى- بقاء امرأته معهم ليصيبها ما

(٤٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس،١٩٨٤م، ج:٢٠، ص: ٥-٦.

سيصيبهم من الهلاك؛ لأنها منهم بالاعتقاد والمناصرة على الفعل الفاحش.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ﴾ [البقرة: ٣٦]، فقد استبدل الفعل الماضي «فأزلهما» بنظيره «فدلاهما»، والفرق بين الإزلال والتدلية، أن الزلة قد تكون في الموضع نفسه، يقال زل الإنسان عن الصخرة: زلق[٤٥]، قال الأزهري: "إذا زلت قدمه قيل: زل، وإذا زل في مقام أو نحوه، قيل: زل زلة، وفي الخطيئة ونحوها وأنشد[٤٦]:

هَلاَّ على غَيْري جَعَلْتَ الزَّلَّه فسوفَ أَغْلُوا بالحُسامِ القُلَّهْ

فهو من الزلل، ومعناه: إن الشيطان حمل آدم وحواء على الزلة فنحّاهما عن الجنة، وإزلاله لهما بقوله لآدم: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠]. أما التدلية: فلا تكون إلا إلى أسفل؛ لأنها من التدلية في البئر، فإذا دلّيتَ أحدًا فقد أنزلته إلى أسفل، وأصلها عند الأزهري: "الرجل العطشان يُدلّى في البئر ليَرْوَي من مائها فلا يجد فيها ماءً فيكون مدلّىً فيها بالغرور، فوضع التدلية موضع الإطماع فيما لا يجدي نفعًا" [٤٧]، وعند الجوهري: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ [الأعراف:٢٢]، أي: أوقعه فيما أراد من تغريره، وهو من إدلاء الدلو[٤٨]، فيكون المعنى: إن الشيطان أوقع آدم وزوجه في المعصية، أي دَلاَهُما في المعصية بأن غرّهما بغروره وإلقائهما فيها[٤٩]، وفيه تنبيهٌ على أنَّه أهبطهما بذلك من درجة عاليةٍ؛ لأن التدلية والإدلاء إرسالُ الشيء من الأعلى إلى السفل ﴿بِغُرُورٍ ۚ﴾ بما غرّهما به من القسم فإنهما ظنا أن لا يُقسِم بالله أحد كاذبا[٥٠]، ويؤكد ذلك السياق في الأعراف الذي تضمن استفهامًا تقريريًا في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾ [الأعراف: ٢٢]، مشعرًا بأن هذا الحدث وقع بعد النهي لهما، وفي ذلك خروج عن أمر الله بغرور من الشيطان الذي أوقعهما فيما هو أكبر من الزلة أو الخطأ والمعصية اليسيرة، فصوَّر في هذا السياق حالتهما التي وقعا فيها لجسامة المعصية.

ومن ذلك - أيضًا- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [فصلت :٥٠]، وقوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦﴾ [الكهف: ٣٦]،نجد في هذين السياقين أن فعليهما مبنيان للمجهول، والضمير فيهما نائب عن الفاعل، وقد سبق

(٤٥) ابن منظور، لسان العرب، ج: ١١، ص: ٣٠٦.

(٤٦) محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١، ج: ١٣، ص: ١١٤.

(٤٧) الأزهري، تهذيب اللغة، ج: ١٤، ص: ١٢٢.

(٤٨) أبو نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، ج: ٦، ص: ٢٣٣٩.

(٤٩) إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت،ط١، ١٩٨٨م، ج: ٢، ص: ٣٢٧.

(٥٠) ينظر أبو السعود، ج: ٣، ص: ٢٢١.

التركيب في آية الكهف "ضرب الله مثلا جنة في الدنيا جعلت لرجل ظلم نفسه، فلم يشكر الله على النعمة التي أنعمها عليه، وظن أنها لا تفنى أبدًا، وأنكر قيام الساعة قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف:٣٥]، فالجنة الموصوفة قد حوت مراده، واشتملت على كل ما أراده من النعيم الذي زعم لنفسه أنه دائم أبدًا، ولما كان الرد عن الشيء لا يخلو من كراهية المردود لطبيعة هذا الفعل الذي يقع خلاف رغبته، كنقل الرجل المذكور عن جنته الزاهية إلى ما زعم لنفسه أنه سيكون أحسن منها حين يُرَدُ إلى ربه فإن استعمال جذر الرد يلفتنا إلى أن الرجل كان يبطن سره تفضيلاً للأولى على الثانية مع أنه قال ما قال في مقام تسليته لنفسه، ولم يتقدم آية فصلت ما تقدم آية الكهف قال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: ٤٩]، ثم قال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت:٥٠]، وليس في «رجع» ما في «رُدّ» من كراهة وهوانٍ يلحقان المردود ولا يلحقان المرجوع، فافترقا لذلك[٥١]، ما في «رد» من كراهية الرد: لأنه لم يتضمن أكثر من ذكر مجرد لحدث الإرجاع من غير أي ظل معنوي كالظل النفسي الذي لمحناه وينطوي في استعمال جذر الرد المقتضي كراهة الحدث بعد بوار الجنة الدنيوية التي فضلها المردود على الجنة التي سيستقبلها كما زعم عند ربه لو رُدَّ إليه.

ومن ذلك -أيضًا- قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر: ٢٥]، وقوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ آل عمران: ١٨٤، فقد وقع الاستبدال بين «كذبوك، ويكذبوك» وقد وردت آية فاطر في سياق الكلام على الهداية والاستجابة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر:١٨]، ثم قال: فإن يكذبوك فالمقام مقام الهداية والاستجابة وتبليغ الرسالة والدعوة، وقد أتى الفعل المضارع للدلالة على ضرورة استمرار التبليغ والإنذار والدعوة إلى الهداية، والمقام في آل عمران استذكار تاريخي لحادثة معينة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، مما لا يناسبه غير التعبير بالفعل الماضي[٥٢]، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤]، في سياق الهداية والاستجابة والتبليغ، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقد أتى بالفعل المضارع للسبب الذي ذكرناه آنفا، فضلًا عن بناء الكلام في آية آل عمران على الاختصار والاكتفاء بالقليل عن الكثير على

(٥١) ينظر الأصبهاني، درة التنزيل،ج:١، ص:٨٧٥.

(٥٢) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٢٢، ص: ٢٩٨.

خلاف ذلك في آية فاطر، ومما يدل على ذلك أمور منها:

- بناء الفعل الماضي للمجهول في آية آل عمران «كذب» وبنائه للمعلوم في فاطر «فقد كذب»، مما اقتضى التصريح بالفاعل وإطالة العبارة، وقد وقعت هذه المفارقة أيضًا في «جاءوا» في آل عمران و«جاءتهم» في فاطر.
- ذكر الباء مع كل معطوف في آية فاطر: «وبالزبر والكتاب المنير»، وحذفها في آل عمران: «والزبر والكتاب المنير»، وربما كان التحول من الماضي إلى الحضور بما اقتضاء من المجيء بحرف المضارعة في آية فاطر دليلًا آخر على الظاهرة التعبيرية المشار إليها أيضًا.

ومن استبدال الفعل الماضي بالمستقبل الذي هو نمط معروف من الحاضر في توجيهات النحاة، قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف : ٥٧]، وقوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الفرقان: ٤٨]، فقد وقع الاستبدال بين «أرسل، ويرسل»، والمقام في الأعراف دُعاء وتضرع، وخوف وطمع، وقد قال تعالى قبلها: «ادعوا ربكم تضرعا وخفية..»، فكان في هاتين الآيتين بعث على الدعاء والتضرع، وتعليق للخوف والطمع بالرحمة، والتعبير بالفعل المضارع كما أسلفنا دال على ضرورة استمرار ذلك وتجدده في المستقبل دائمًا مع ما في هذه الآية من مقابلة بين صورتي إحياء البلد الميت بالماء، وإحياء البشر بعد موتهم، ومن المعلوم أن إخراج الموتى غير حاصل في الماضي، ولكنه سيحصل مستقبلًا، وقد عَبَّر في الفرقان بالماضي «أرسل» ليتشاكل مع السياق الذي تضمن سردًا للنِّعم التي كان الله -تعالى- قد أنعمها على عباده ومنها إرسال الرياح(٥٣)، وذلك في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، فكل ذلك قد تحقق في الماضي مع ديمومة وقوعه في الحاضر والمستقبل، على وفق ما جرى عليه التعبير في الأعراف.

الاستبدال في الفعل المضارع:

يأتي الاستبدال في الأفعال المضارعة كثيرًا في التراكيب الفعلية الحاضرية في سياق النص القرآني بما يناظرها في التشكيل النحوي ويطابقها أو يفارقها في الدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: ١٠١]، وقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس: ٧٤]، في هذا السياق استبدال في نوع ضميمة المضارعة في «يطبع، ونطبع»، مع إظهار الفاعل في الأعراف، وإضماره في يونس،

(٥٣) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل، ج: ٢، ص: ٥٩٠.

والطبع هو الختم: "يقال طبع الله على قلوب الكافرين... أي ختم، فلا يعي، وغطى لا يوفق لخير"(٥٤)، وقد بنيت آية الأعراف على ما تقدمها من الآيات التي انتقل فيها الإضمار إلى الإظهار ومن الإظهار إلى الإضمار في إخبار الله ﷻ عن نفسه، كالإضمار في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨﴾ [الأعراف:٩٧-٩٨]، والإظهار في قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف:٩٩]، والإضمار في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾ [الأعراف:١٠٠]، ثم العودة إلى ذكر الطبع والطابع مظهرًا في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠١﴾ [الأعراف:١٠١]، مراعاة لما بُنيت عليه الآيات المقدمة من نسق الانتقال الذي أشرنا إليه، في حين أن إضمار الفاعل في آية يونس مبني على ما قبلها وما بعدها من الآيات، وهو إضمار لم يداخله أي إظهار للفاعل(٥٥)، كما حصل في سياق آيات الأعراف، فقد قال تعالى قبل آية يونس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ [يونس:٧٣]، وقال في مفتتحها: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٧٤﴾ [يونس:٧٤]، ثم قال بعدها: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥﴾ [يونس:٧٥]، بلزوم الإضمار وحده لتوحيد صورة الفاعلية من حيث شكلها النحوي المشار إليه على خلاف ما جرى في السورة الأخرى، مما لا يستبعد أن يكون مقصدًا نحويًا في التعبير القرآني وملحظًا من ملاحظ إعجازه التي لا تكتشف بغير النظر والتأمل الدقيق، وهي كثيرة جدًا، منها في إطار ما نُعْنَى به من استبدال التركيب الفعلي الحاضر بنظيره.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣٧﴾ [الروم: ٣٧]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الزمر: ٥٢]، وهذا الاستبدال بين الفعلين «يروا، ويعلموا» المنفيين، وقد جاءت آية الروم بعد قوله تعالى: (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها)، والمعنى إذا أنعمنا عليهم نعمة تُرى عليهم من مطر أو سعة أو عافية فرحوا بها، وإن أصابتهم عقوبة وبلاء من جدب أو ضيق أو مرض قنطوا من الرحمة، وفعلوا فعل البائس من أن يشمله الله بنعمة إن تاب من المعاصي، ورجع إلى الله، ثم إن ألفاظ الرؤية في الروم أكثر مما في الزمر، وألفاظ العلم في الزمر أكثر من الروم... لذا استحقت الروم لفظ الرؤية والزمر لفظ العلم(٥٦)، وهاتان الحالتان مرئيتان عندهم، ومشاهدتان "فإن من بسط له الرزق رؤي ماله

(٥٤) ابن منظور، لسان العرب، ج: ٨، ص: ٢٣٢.

(٥٥) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل،ج:٢، ص: ٦٤٥.

(٥٦) ينظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص:١٧٩.

ولم يخف على المشاهد حاله، ومن انقلب أمره، وانقطع خيره أدركت العين منه خلاف ما كان قبل"[٥٧].

فلما جاءت هذه الآية بعد ذكر النعمة، وحال الإنسان إذا سلبت منه، والنعمة المرئية، ناسب هذا المكان المجيء بجذر الرؤية الذي جرى استعماله في سورة الروم سبع مرات، بما يشبه أن يكون مقصدًا إعجازيًا من مقاصد العبارة القرآنية، كما جرى استعمال جذر العلم في سورة الروم لإقرار النسق اللغوي الغالب في الاستعمال على نظيره في كل من السورتين، وبهذا فقد ربط باستبدال الفعل الأول بالثاني بين السياقين وناسب بينهما وجعلهما منسجمين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]، فقد استبدل الفعل «يمسك، بيردك»، في ذكر الخير وقد أتت آية يونس بعد قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس: ٩٦]، وهذا إخبار منه تعالى بجري الخلائق على ما قدر لهم أولًا، وسبق حكمه تعالى ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: ٩٩]، وهذا تأكيد للأمر المذكور، وإن ذلك لا يرده ولا يعارضه معارض، فناسب هذا قوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾، وإصابته تعالى من يشاء من عباده بالخير هو المراد، وبقوله في الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾، فالمس في اللغة هو اللمس[٥٨]، واستعمل هنا في الإصابة مجازًا، أي وإن يصبك بخير أو ينلك خيرًا[٥٩]، وبهذا يكون قد اجتمع الأمران في آية يونس، وكأنه قد قيل: "وإن يمسك بخير ويردك به فلا راد لما أصابك به، وأراده لك"، وفي هذا من التأكيد ما ليس في آية الأنعام، وذلك ليطابق هذا التأكيد ما تقدم من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس: ٩٦]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: ٩٩]، مما لم يتقدم مثله في الأنعام[٦٠]، التي اكتفى فيها بقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾، ويفهم من هذا أنه تعالى قد أكد ذكر الخبر في آية يونس أكثر مما في الأنعام، فذكر لما يبدر منهم مقابل إشارته في الأنعام إلى أنه يمسهم بالخير من مصدر قدرته القادر على كل شيء، ومثل هذه الفروق الدلالية بين التراكيب ميدان كبير لعمل النحوي والمفسر من حيث يريان الوجوه التي تؤكد السمة الإعجازية في العبارة القرآنية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ

(٥٧) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل، ج: ١، ص: ١٠٥٠.

(٥٨) ابن منظور، لسان العرب، ج: ٦، ص: ٢١٧.

(٥٩) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل،ج:٢، ص: ٤٩٤.

(٦٠) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج: ٢، ص: ١٠.

فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ الأعراف:٣٩، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنفال: ٣٥]، فاستبدل «تكفرون، بـ تكسبون»، تأسيسًا على وعيده تعالى بالعذاب، وقد سوَّغ هذا الاستبدال اختلاف المقام في آية الأعراف عنه في آية الأنفال، فسياق آية الأعراف في أمم متفرقة، وأصناف من تنوع كفرهم وتكذيبهم، وارتكبوا المعاصي، وافتروا على الله الكذب فقال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ [الأعراف:٣٦]، وقوله: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعَا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾[الأعراف: ٣٨-٣٩]، وقد ذكر السبب إيماء إلى تنوع ما اجترحوا من المخالفات والذنوب والضلالات، بيد أن سياق آية الأنفال في كفار قريش، وهم عبدة أوثان لم تتكرر فيهم الرسل، ولم يكن منهم غير الكفر والتكذيب بالرسولﷺ، في رسالته إليهم فأوعدهم بالعذاب على هذا النمط المعين الواحد من الفعل في طبيعة ما اقترفه المذكورون في الآيتين من الذنوب والمعاصي، وهم في حالتهم الأولى متعددون اتصف عصيانهم بالتنوع من زاوية كثرتهم واختلاف أحوالهم وظروفهم وأزمنتهم، وفي حالتهم الثانية فئة واحدة من الناس كذبت رسولها كما كذب أولئك الرسل الكثر الذين أرسلوا إليهم، ولكنهم لم يعرفوا بغير الكفر الذي انسجمت معه وانطلقت منه كل ألوان المعصية التي ذكرت عنهم كإيذاء النبي ومحاولة قتله، والاعتداء على أصحابه، ومحاصرتهم وما شاكل ذلك مما سجلته التواريخ.

ونخلص من هذا إلى أن استبدال الفعل بالفعل آتٍ من زاوية ذات بُعْدٍ عميق، يضرب في الاجتماع والتاريخ والاعتقاد وفي غير ذلك مما لا يلمح إلا بالتأمل وتدقيق النظر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس: ٤٢]، وقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٣]، فقد وقع الاستبدال بين «ينظر، ويستمعون»، على التقابل، "وإنما جمع الضميرُ الراجعُ إلى كلمة «مَنْ» رعايةً لجانب المعنى كما أفرد فيما سيأتي محافظةً على ظاهرِ اللفظِ ولعل ذلك للإيماء إلى كثرة المستمعين بناءً على عدم توقفِ الاستماع على ما يتوقف عليه النظرُ من المقابلة وانتفاءِ الحجاب"[٦١]، بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ﴿يَنظُرُ﴾ حملا

(٦١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج: ٤، ص: ١٤٨.

على اللفظ إذ لم يكثر كثرتهم[٦٢]، مع احتمال الجمع والإفراد بالضميمة السياقية «من» الموصولة واحتمال أن يكون الجمع والإفراد قد وقعا لسبب آخر غير ما ذكرنا؛ لأن التأثير بالدعوة يكون بحسب أثر الاستماع، لا بحسب الرؤية فأفرد النظر؛ لأن رؤية النبيﷺ واحدة، لا تختلف عند الرائين، وجمع الاستماع لاختلاف أثره من شخص لآخر[٦٣]، وقد أفرد لفظ الاستماع في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾[الأنعام: ٢٥]، وفي قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ﴾ [محمد: ١٦]؛ لأن آية الأنعام نزلت في بضعة رجال من قريش[٦٤]، فوحَّد الاستماع هنا لقلة المستمعين قياسًا بجمع الكفار الذين عنتهم الآية الكريمة في يونس، والمنافقون المومأ إليهم في آية محمد قلة كانوا يحضرون مجلس الرسولﷺ في المدينة فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له إلا تهاونا منهم[٦٥]، وقلتهم هذه مغيَّبة بمجموع ما كان يحيط به الكفار يومئذ، والمقصود في آيتي يونس إعلام الرسولﷺ بأن هؤلاء الكفار قد بلغوا في كفرهم وعنادهم وعداوتهم له حدًا كبيرًا؛ لأن الأصم الأحمق والأعمى الفاقد للبصيرة لا يستطيعان الوقوف على محاسن الكلام، واكتشاف ما ينطوي عليه من الإعجاز، ولا يمكنهم أن يريا ما أجرى الله على يدي رسوله من الخوارق ولهذا أبدت الآيتان اليأس من هدايتهما[٦٦].

وقد ذكر ابن قتيبة أن في الآيتين دليلاً على فضل السمع على البصر؛ لأنه "حين جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر"[٦٧]، وإنما وقع الاستبدال لمراعاة الظرف الذي لا يناسبه إلا تخصيص السمع أو البصر به، فالليل في الآية الأولى ظرف مظلم، لا ينفذ فيه البصر، فاقتضت بلاغة القرآن الكريم، أن يقال: "أفلا تسمعون"، للمناسبة الكاملة بين الحاسة والموقف المظلم الذي لا يقع فيه الإبصار، بخلاف النهار في الآية الثانية فينفذ فيه البصر، يناسبه القول "أفلا تبصرون"، ومثل هذه المراعاة من الدقائق الإعجازية التي لا سبيل إلى الغفلة عنها لدى تمثل العبارة القرآنية، ومنها ذلك الفرق بين التعدي والتقرب في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾[البقرة: ١٨٧]، فقد ذكر الحدود في الأولى وحظر التقرب منها، وذكرها في الثانية وحظر التعدي عليها، وإنما كان الحظر الأول؛ لأنه تعالى قد نهى عن مباشرة النساء في أثناء الاعتكاف في المساجد، والنهي عن قربان الشيء أبلغ من النهي عن فعله، ويظهر ذلك

(٦٢) ينظر: الكرماني، أسرار التكرار، ص: ١٤٠.

(٦٣) ينظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص: ٤٧-٤٨.

(٦٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج: ٢، ص: ١٣.

(٦٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج: ٣، ص: ٣٢٢.

(٦٦) ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، ج: ٤، ص: ٤٧٢.

(٦٧) ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص: ١٣.

في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، بيد أن الحظر في الثانية ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة :٢٢٩]، قد جاء بيان عدد ألفاظ الطلاق فناسب ذلك النهي عن التعدي والتجاوز على الحد الذي وقع الإلزام به.

الاستبدال في فعل الأمر:

منه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ [الأعراف :١١١]، وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾ [الشعراء: ٣٦]، فقد وقع الاستبدال بين «ابعث، وأرسل»، الفعلين الطلبيين اللذين يفيدان وقوع حدثيهما قبل انتهاء الأمر أو بُعيْده، وقد اقتضى سياق الآيات في الشعراء ذكر فعل البعث دون الإرسال؛ لأن البعث يتضمن معناه؛ ويرى عليه بمعنى الإثارة والإنهاض والتهييج[٦٨]، قال الراغب: "أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث"[٦٩]، والبعث قد لا يكون بإرسال شخص من مكان إلى آخر، بل يكون بإنهاض شخص في المجتمع نفسه، ومنه قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِي إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٤٦]، ومعناه: "انهض للقتال معنا أميرًا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه، وننتهي إلى أمره"[٧٠]، ولما كان المقام في السورة مقام زيادة تحدٍ وقوة، ومواجهة كما هو ظاهر في سياق آياتها، قال ملأ فرعون: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾، وهو مقام يؤكد سياق الآيات في السورة الأخرى، بيد أن الملأ لم يكتفوا بطلب الإرسال بل طلبوا البعث فيما حكته عنهم آية الشعراء، فقد أرادوا أن ينهضوا في المجتمع حاشرين فضلاً عن الرسل، وهؤلاء من مهمتهم الإشارة، وتهييج الناس على موسى، وهذا معنى لا يؤديه فعل الإرسال[٧١]، ومن الطريف أن تلحظ تكرار استعمال فعل الإرسال ومشتقاته في سورة الأعراف أكثر مما في سورة الشعراء فقد ورد في الأعراف ثلاثين مرة، وفي الشعراء سبع مرات، ولا يخفى ما في هذا التباين من تأكيد طلب الإرسال في السياق الطويل في الأعراف، وكأن قوة دلالة البعث على الإرسال وما يصحبه من معاني الإثارة والإنهاض والتهييج هو الذي يرفع العدد القليل من تكراره في سورة الشعراء إلى قوة الإرسال المؤكد عليه في السورة الأخرى، مما يمكن أن نعده ملحظًا إعجازيًا لا يصل إليه المرء إلا بالنظر والتأمل الطويل.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال في المؤمنون: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾ [المؤمنون: ٥٢]، فقد وقع الاستبدال بين «اتقون، واعبدون»، مما يبدو في ظاهره الدلالي تماثلاً في دواعيه السياقية، ولكننا نلحظ أن

(٦٨) ابن منظور، لسان العرب، ج: ٢، ص: ١١٦.

(٦٩) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ١٣٢.

(٧٠) الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ٢٩١.

(٧١) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص: ٣٣٠.

سياق الآيات في سورة الأنبياء يتحدث عن الإحسان والتفضل، واللطف والرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣]، إلى نهاية السياق مما فيه من الإحسان بزكريا ومريم...، وختم ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، فذكر العبادة المأمور بها كل من قص قصصهم، فناسب ورود أمر بالعبادة من رعاه بإحسانه ولطفه من المذكورين جميعًا، بيد أن آية المؤمنين جاءت عقب ذكر طوائف كثيرة من الأمم العاصية التي أهلكت بكفرها، فقد قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ المؤمنون :٤١، واستمر التحذير والتهديد بعد هذه الآية في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون:٥٤]، وغير ذلك فكان من المناسب أن يأتي الأمر بالتقوى في آية المؤمنين، لما فيها من التحذير والتخويف المتسق مع ذكر العقوبات والإهلاك[٧٢]، وقد صاحب كل ما ذكرناه ورود لفظ التقوى، التي لم ترد البتة في سورة الأنبياء؛ لأن السياق لا يقتضي حاجاته إليها، بخلاف سورة المؤمنين، فقد ورد فيها ذلك أربع مرات باقتضاء أحوال الأمم الماضية المهلكة للأمر بالتقوى، ويقابل هذا لفظ العبادة وما إليه من صيغ جذره اللغوي ثماني مرات في سورة الأنبياء، وأربع في المؤمنين، وهذه المفارقة الإحصائية شبيهة الدلالة بما ذكرناه من مناسبة البعث والإرسال آنفا، لسياق السورة التي تضمنته وعددناه ملحظًا إعجازيًا جديرًا بالتأمل.#

المبحث الثالث
الاستبدال الجملي:

يتمثل الاستبدال الجملي في اختلاف التعبير في الجملة من سياق إلى آخر بينهما علاقة تشابه في النص القرآني؛ أو استبدال قول مكان آخر مع تأدية وظيفته في النص، وهو وسيلة مهمّة للربط بين الجمل وشرطه أن تُستبدل وحدة لغوية تشترك معها في الدّلالة، فيسهم في تحقيق التّرابط النصي، حتى يتّضح للقارئ ويفهم دلالاته النصية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨]، وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]؛ إذ وقع الاستبدال في آخر الفاصلتين بين قوله: "إن الله لغفور رحيم، وإن الإنسان لظلوم كفار"، وجاء في تعليق الفخر الرازي على اختلاف هاتين الفاصلتين قوله: "كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلومًا كفارًا، ولي وصفان عند إعطائها وهما: كوني غفورًا رحيمًا، والمقصود كأنه يقول: إن كنت ظلومًا فأنا غفور، وإن كنت كفارًا فأنا رحيم، اعلم عجزك وقصورك، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي

(٧٢) ينظر: الأندلسي، البحر المحيط، ج: ٧، ص: ٥٦٧.

جفاءك إلا بالوفاء"[٧٣]؛ لأن السياق يقتضي أن يختتم كل آية بما ختمت به، ذلك أن آية النحل في سياق ذكر صفات الله، وتعداد نعمه، وآية إبراهيم في سياق وصف الإنسان، وذكر صلته بالله[٧٤]، قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥﴾ [النحل: ٥]، فذكر نفسه تعالى بالغفران والرحمة من صفاته، وذكر قدرته ونعمه على عباده الذين ذكرهم بعصيانهم في سورة إبراهيم بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ثم ختم هذا القول كله بما ذكره من ظلم الإنسان لنفسه، وكفره بالنعمة تحذيرًا لعباده المؤمنين من الوقوع في ضلالة من يقع في مغبة هذا الذنب الكبير.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام: ٣٢]، فحصل الاستبدال بين التراكيب الاسمية: "والدار الآخرة، وللدار الآخرة"، وذلك بإضافة الدار إلى الآخرة في آية يوسف، ووصف الدار بالآخرة في الآيتين الأخريين، وفي هذا الوصف مطابقة لما تقدم قبل كل منهما، فقد قال في الأنعام: "وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو"، فجعل الدنيا صفة للحياة على غرار وصف الدار بالآخرة مع مراعاة تأكيد الدار باللام في السياقين، وبـ"ما وإلا"، في السياق الأول، كما قال في الأعراف "والدار الآخرة"، بعد قوله:" يأخذون عرض هذا الأدنى" فجعل الأدنى صفة للمشار إليه المحذوف، وهو الدار الدنيا، فشاكل أن يقول بعده "والدار الآخرة"، أما الإضافة في يوسف فلم يتقدم عليها مثل ما تقدم آيتي الأنعام والأعراف[٧٥]، وما قبله هو قوله: "أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله."، والساعة هي الساعة الآخرة، وهي القيامة، فلما ذكرت الدار أضيفت إليها فكأنه قال: "ولدار الساعة الآخرة خير"، وهذا على وفق ما يراه البصريون: لأنهم لا يجيزون إضافة الشيء إلى نفسه"[٧٦]، ومما صح عند الكوفيين اختلاف الاسمين، قال الفراء : "وقوله: « ولدار الآخرة»، أضيفت الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كقوله: «إن هذا لهو حق اليقين»، والحق هو اليقين، ومثله:" أتيتك بارحة الأولى، وعام الأول، وليلة الأولى، ويوم الخميس"[٧٧]، أو في قولهم: هذا صحة ظاهره؛ لأن عدم التأويل أسلم من التأويل، مع وجود ما يؤيد هذا اللون من الإضافة في القرآن الكريم وكلام العرب.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ

(٧٣) الرازي، التفسير الكبير، ج: ١٩، ص: ١٠٠.

(٧٤) ينظر: أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج: ٢، ص: ٧١٩.

(٧٥) ينظر: الغرناطي، ملاك التأويل، ج: ١، ص: ٤٤٩-٤٥٠.

(٧٦) الأصبهاني، درة التنزيل، ج: ٢، ص: ٨٠٩.

(٧٧) الفراء، معاني القرآن، ج: ٢، ص: ٥٦.

أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣]، فاستبدال لفظ الجلالة "الله" بالاسم المضاف إلى ضمير الخطاب "ربك" الذي عبر به عن رسوله، فوضع كل من اللفظين في مكانه، فلمَّا كانت آية الأنعام واردة في سياق ذكر الأطعمة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١]، فإن لفظ الرب أليق بهذا المكان؛ لأن الرب من التربية والتنشئة، وهو القائم بمصالح المربوب[٧٨]، يقابل هذا ورود آية البقرة في سياق ذكر العبادة، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾[البقرة:١٧٢]، ولفظ الجلالة ألصق بهذا المكان؛ لأنه من الألوهية، وهي العبادة، "فكان بما قدمه مثبتا عليهم إلاهيته؛ لأن الإله هو الذي تحق له العبادة بما له من النعمة"[٧٩]، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾[البقرة: ١٧٣]، فقد صرح بلفظ جلالته؛ لأنه قال في الآية التي قبل "واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون"، وربما أفاد الإحصاء في ترجيح كل من اللفظين للسياق الطويل في سورته، فقد تردد لفظ الجلالة في البقرة أكثر مما في الأنعام، وتردد لفظ "رب"، في الأنعام أكثر مما في البقرة، فلا يخلو هذا التباين من ترشيح كل من اللفظين كما سبق في مقامه وموضعه من السورتين.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ [ص: ٧٧-٧٨]، وقوله: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ [الحجر٣٤-٣٥]،استبدل "لعنتي: باللعنة"، فأضاف اللعنة إلى نفسه تعالى فأكسبها تعريفًا إلى أصلها النكرة، وهي في الآية الأخرى معرفة بـ"أل"، وإضافتها إلى الياء متسق مع قوله قبل ذلك، متحدثًا عن نفسه: لما خلقت بيدي"، بيد أنه قد عُرِّف بألف ولام الجنس؛ لأن الأمر لم يكن كذلك، فقد تقدمه قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ [الحجر: ٢٦]، بتعريف الإنسان والجان بهما أيضًا، ثم قال: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ [الحجر: ٣٢]، بخلاف التنكير في سورة ص، فقد قال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ [ص: ٧١]، وهي لم تفتتح بذكر الجن والإنس معرفين

(٧٨) ابن منظور، لسان العرب، ج: ١، ص: ٤٠٤.

(٧٩) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل،ج:١، ص: ٣٢٢.

بالألف واللام، كما في سورة الحجر، وكان الله عز وجل قد ذكر نفسه ست مرات في سورة "ص"، وثلاث مرات في سورة الحجر، الذي قال فيها: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص:٧٢]، وقال في سورة "ص" مثل ذلك، وزاد عليه قوله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥]، وقال: "وإن عليك لعنتي"، فناسب كل من الاسم المعرف بالإضافة والمعرف بالألف واللام جو القصة التي ورد فيها، ومما يحتمل أنه قال في سورة ص: "وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين"، بالإضافة إلى النفس؛ لأنه غضب غضبًا شديدًا من إبليس الذي عصى أمره بالسجود لآدم، وهو من مخلوقاته بيديه العليتين: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥]، فأجابه إبليس بقوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: ٧٦]، وجوابه الثاني في الحجر: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر: ٣٣]، ومع كون المقام بصورتيه القرآنيتين مقام غضب بيد أن الغضب في سورة "ص" أشد منه في الحجر، ولهذا ناسبه أن يضيف اللعنة إلى نفسه جل جلاله تصريحًا وإشعارًا بأنه غريم العاصي المستكبر الذي استنكف من السجود بحضرته للإنسان الذي خلقه بيده العليتين ليكون خليفته في الأرض.

استبدال اسم الفاعل بالتركيب الفعلي:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: ٩٥]، قال أولًا: "يخرج الحي من الميت" وقال: "مخرج الميت من الحي"، والفرق بين الفعل المضارع واسم الفاعل إفادة الفعل الحدوث والتجدد، بخلاف اسم الفاعل فإنه يفيد الثبوت فقط، قال عبد القاهر الجرجاني: "إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد المعنى المثبت شيئًا بعد شيء"[٨٠]، وقال:" وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء"[٨١]، فاستعمل جل جلاله الفعل مع الحي، فقال: "يخرج الحي"، واستعمل مع الميت الاسم فقال: "مخرج الميت من الحي"؛ لأن الميت لا حركة فيه ولا تجدد فجاء اسم الفاعل الدال على الثبوت؛ فأبرز صفات الحي الحركة والتجدد، مقابل سكونية الموت[٨٢]، وانقطاع الحركة به، وشبيه بما تقدم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٧] وقوله : ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ

(٨٠) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: ١٧٤.

(٨١) المرجع نفسه، ص: ١٧٤.

(٨٢) ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن ، ط١، ٢٠٠٠م، ج: ٣، ص: ٢٦٨.

وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [الأنعام: ١٣١]، فقد وقع الاستبدال بين "مهلك، وليهلك"، ووردت آية هود في سياق الكلام عن الحياة الدنيا وشؤونها وذكر سنة الله تعالى؛ فجاء بالفعل المضارع؛ لأن الأمم تتحدث وتتجدد وتهلك ويأتي غيرها بدلالة الفعل المذكور على ذلك، ويقابل هذا في الآية الثانية مشهد من مشاهد يوم القيامة، وصف به أحوال في دنياهم الأولى.

فقد وعد الله تعالى أنه لَمْ يَكُنْ ليهلكهم بظلمهم وهم غافلونَ لَمَّا يأتهم رسول ولا حُجَّة[٨٣]، وذلك في سياق أمر مضى وانتهى في حياتهم الأولى، وإنما جيء باسم الفاعل مضافًا إلى "القرى"؛ لأن في إضافة اسم الفاعل دلالة على المعنى[٨٤]، ومما يلحظ في الآية نفسها ورود "لم" الجازمة قبل فعل الكون الحاضر وهي ضميمة سياقية تقلب الحضور إلى المضي[٨٥]، ويفهم من هذا أن ذلك أمر حصل وتم في الدنيا، ثم انقطع فأصبح في الآخرة ماضيًا يتحدث عنه النص القرآني، بوصفه تاريخًا من التواريخ وذكرى.

استبدال التركيب الإضافي بالضمير:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢﴾ [الأعراف: ٨٢]، وقال في النمل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾ [النمل: ٥٦]، فقد وقع الاستبدال بين "آل لوط، وضمير غيبتهم"، وكان لوط ﷺ قد خاطب قومه بشدة وعنف، وجرَّم عليهم إتيانها، وكان تبكيته لهم أكثر في سورة النمل منه في الأعراف، فقد قال في النمل: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤﴾، وقال: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾، وقال في النمل: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾، بزيادة همزة استفهام يفيد الإنكار والتوبيخ، وقال في الأعراف: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾، فلمَّا زيد في تعريف أولئك القوم بإتيانهم الفاحشة زادوا من طرف تنصيصًا على إخراج آله من قريتهم، وخلعوا رداء الحياء، وانتهوا من كل كناية[٨٦]، ككناية الضمير في «أخرجوهم»، فكأنهم قابلوا إنكاره وتقريعه بالتصريح بإخراجه مع ذويه وأهله، فإذا عرفنا أن السورتين مكيتان والأعراف أسبق في النزول، ترشح عندنا أن نصائح لوط قد تواترت وتصاعدت وكثرت، فقابلها القوم بالإعراض، وحكت عنهم الأعراف كنايتهم

(٨٣) الفراء، معاني القرآن، ج: ١، ص: ٣٥٥.

(٨٤) ينظر: الزمخشري، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ٢٠٠١م،ج: ٤، ص: ٢٧٥.

(٨٥) ينظر: عبد الله بن يوسف ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط٦، ١٩٨٥م، ص: ٣٦٧.

(٨٦) ينظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص: ٢٠٠-٢٠١.

عن آل لوط بضميرهم، حيث فكروا بمعاقبة نبيهم، فلمَّا زادوا في الجهر بإتيان الفاحشة وزاد لوط التوبيخ والتقريع قابلوه في النمل بالتصريح بإخراجه مع آله من القرية، تصعيدًا لغضبهم منه بمقدار غضبه منهم، واتساقًا معه، بحيث لم يبقَ عندهم من حياء يحملهم على التعريض دون التصريح؛ فجاءت العبارات متسقة مع كل سياق وردت فيه فحققت ترابطًا نصيًا وانسجامًا دلاليًا.

استبدال صيغة المبالغة بالتركيب الفعلي:

ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦]، والجريان أكثر من النضخ الذي هو شدة فوران الماء في جيشانه، فقوله: نضاختان، أي: فوارتان بالماء[٨٧]، والجنتان اللتان وصفهما الله بأن فيهما عينين تجريان مخصصتان لمن خاف مقام ربه، واتقى ونهى نفسه عن الهوى، ولمن خاف مقام ربه جنتان، والأخريان اللتان وصفتا بأن فيهما عينين نضاختين هما دون تينك الجنتين قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن: ٦٢]، وأراد أن يسكنهما من هو دون الأُوَلِ في التقوى، فلذلك فإن صفات الجنتين الأخريين دون صفات الجنتين الأوليين، فالأوليان: ذواتا أفنان؛ أي أغصان تتشعب من فروع الأشجار، والأخريان مدهامتان من شدة الخضرة[٨٨]، والأوليان فيهما من كل فاكهة زوجان؛ والأخريان فيهما فاكهة ونخل ورمان، وكذا صفات الحور في الأوليين أبلغ من صفاتهن في الأخريين، فالأوليان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، وفي الأخريين حور مقصورات في الخيام، وأرباب الأوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق، وأرباب الأخريين متكئين على رفرف خضر، وكل أحوال التفريق بين الجنات الأربع دالة على أن المؤمن الأول أكرم منزلة عند الله من المؤمن الثاني، ولذلك خُصَّت جنتاه بالعينين الجارتين، وخُصَّت جنتا الآخر بالعينين النضاختين اللتين تفوران وتجيشان، ثم يعقب ذلك همود وشحة ماء، قبل معاودة الفوران والجيشان وهكذا. والسياق لا يمنع "لحاله على هذا النحو أن يكون الوصف باسم الفاعل: "نضاختان" مما تصح به الفاصلة أيضًا، ولكن الملحظ الإعجازي الذي تؤديه صيغة المبالغة إشعار للمتأمل بأن النضخ لن يكون في حينه من الشحة والانقطاع والمعاودة بحيث يشعر بتقليل شأن الجزاء الذي يصيبه المؤمن الثاني مما يمكن أن تشعر به صيغة اسم الفاعل، وقصارها الوصف الثابت بحده المقتصد دون الحد المبالغ فيه والمؤثر عليه بالصياغة الأخرى؛ وبهذا اتسق كل سياق بما ورد فيه من وصف هو أشبه به وأبلغ في أداء دلالاته.

(٨٧) ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١٣٨١هـ، ج: ٢، ص: ٢٤٦.

(٨٨) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج: ٤، ص: ٤٥٣.

استبدال التركيب الفعلي بشبه الجملة:

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكۡذِيبٖ ١٩﴾ [البروج: ١٩]، وقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الانشقاق: ٢٢]، فقد وقع الاستبدال بين التركيب الفعلي "يكذبون"، وشبه الجملة "في تكذيب"، وشبه الجملة دال بطبيعته النحوية على الدوام والثبات[٨٩]: وذلك لأن الخطاب لقوم فرعون وثمود، بدليل قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾، وهؤلاء كانوا ثابتين مستمرين في تكذيبهم للرسولين موسى وصالح عليهما السلام، وقد ظلوا على هذه الحالة إلى حين إهلاكهم، فكان التعبير بشبه الجملة أليق بهم في وصف حالتهم، بيد أن التعبير في التركيب الفعلي في آية الانشقاق: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾، دال على التجدد والحدوث، بدلالة الفعل المضارع على ذلك[٩٠]؛ لأن الخطاب للكفار في زمن الرسول ﷺ وقد قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١﴾ [الانشقاق: ٢٠-٢١]، ثم قال بعدها والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم؛ وهؤلاء المشركون لم يكن التكذيب صفة ثابتة فيهم، لأنهم كانوا يولون النبي ﷺ تقديرًا لصدقه وأمانته في بعض المواقف التي تتحدث عنها كتب السير، ثم كان تكذيبهم لدعوته يتجدد فيهم حينًا بعد حين عند تقدمه رويدًا رويدًا، وربما كان التعبير بالجملة الفعلية هنا ورجاء وانتظار لإعادتهم النظر في كفرهم وشركهم، والانقلاب من ذلك إلى الإيمان، مع ملاحظة أثر الفاصلتين في كل من السورتين، ذلك أن الفواصل القريبة تنتهي بحرف الدال، ومخرجه كما هو معروف قريب من مخرج الباء؛ لأن الأول أسناني لثوي[٩١]، والآخر شفوي[٩٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكۡذِيبٖ ١٩﴾ [البروج: ١٢-١٩]، والفواصل القريبة من آية الانشقاق جُلها فعلية أفعالها مضارعة تنتهي بالواو والنون، وذلك قوله قبل هذه الآية: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١﴾، وبهذا يكون كل من التعبيرين لائقاً بمكانه.

استبدال التركيب الفعلي المبني للمعلوم بالتركيب الفعلي المبني للمجهول:

ومنه قوله تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧﴾ [التوبة: ٨٧]، وقوله: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ

(٨٩) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج: ١، ص: ٣٣٠.

(٩٠) الفراء، معاني القرآن، ج: ١، ص: ١٠٩.

(٩١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة - الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص: ٧٩.

(٩٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٧٩.

فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة: ٩٣]، وقد وقع الاستبدال بين "طبع الله ، وطُبِع"، والطّبع يقال على وجهين: مصدر خَتَمْتُ وطبعت، وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم[٩٣]، وطبع الله على قلبه أي ختم عليه، فَلَا يعي وَعظاً وَلَا يوفَّق لخير[٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، قد وقع بعد قوله: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠]، ترشيح لاستعمال بناء الفعل المبني للمجهول بقرينة "أنزلت"، لتناسب بين الصيغتين في الآيتين[٩٥]، ومعنى قوله: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾، أنه تعالى هو المنزل الذي لا يحتاج في السياق إلى ذكره، بقيام مفعوله مقام فاعليته، ومنها الطبع على القلوب بعد إنزال السورة؛ لأن كل الأفعال محمولة عليه بحكم الضرورة، وإنما صرح بذكره في الآية الأخرى إشعارًا وتأكيدًا. وبالنظر في قوله: "إنما السبيل..."، وبملاحظة مجيء "إنما"، بعد النفي المكرر في قوله: "ليس على الضعفاء ولا على المرضى"، نعلم أن ذلك لنفي الحرج عمن تخلف عن الجهاد في سبيل الله لأحد المعاذير التي ذكرها دون غيرهم ممن لا عذر لهم، ولهذا قيل: "فإنما السبيل..."، فكأن هذا الموضع موضع تنبه وتأكيد وتخويف وتحذير ولذلك سُمّي الفاعل[٩٦]، فكان لائقًا بمكانه، فضلاً عن عدم وقوع فعل مبني للمجهول قبل جُمل التصريح به: وطبع الله على قلوبهم، كما هو في الأخرى.

وبناء على ذلك فإن للاستبدال دورًا مهمًا في ترابط أجزاء النص القرآني؛ لأنه علاقة قبلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق له، فيعد بذلك عاملًا من عوامل التماسك النصي في تحقيق الربط النحوي والمعجمي من خلال استبدال لفظة بأختها مع المحافظة على سياق الكلام وانتظامه داخل النص القرآني، ويتمثل هذا الدور في تتبع العبارات والجمل في سياقات النصوص القرآنية ضمن البنية الكبرى للنص، ومعرفة نوعه اسمي، أو فعلي، أو جملي، ودراستها وتحليلها وتأويلها وفق بُعْدي: الاتساق والانسجام الذي يتمثل في بُعدٍ دلالي وبُعْد تركيبي، كما يختزل الاستبدال في النص عنصري التكرار والحذف، وبهذا يؤدي إلى الإيجاز، ويسهّل به تقريب المعاني، ودلالات الألفاظ للقارئ، كما يهدف إلى توليد الجمل عن طريق إحلال عنصر لغوي مكان آخر، وهذا ما يؤدي إلى التغيير والتنوع في البنية الشكلية والعبارات والتراكيب الداخلية،كما يحقق تنوعًا فريدًا في الدلالات على مستوى الأسماء والأفعال والتراكيب والصيغ في السياقات المختلفة؛ وبذلك يعد خطوة جليّة في تحقيق الاتساق والانسجام.

(٩٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٢٧٤.

(٩٤) ينظر الأزهري، تهذيب اللغة،ج:٢، ص: ١١٠.

(٩٥) ينظر: أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج: ١، ص: ٢٣٣.

(٩٦) ينظر: الأصبهاني، درة التنزيل، ج: ٢، ص: ٧١٩-٧٢٠.

خاتمة:

بعد هذه الرؤية المتواضعة التي أوضحت فيها مدى قدرة الاستبدال على تحقيق الاتساق والانسجام في النصوص القرآنية ومدى ملاءمة كل نص لما جاء فيه من ألفاظ ضمن سياقاتها المختلفة، في ضوء المنهج الوصفي/التحليلي ومقاربات ونظريات اللسانيات وتحليل الخطاب التي اتضح بها إسهام الاستبدال في تماسك النص وانسجامه على مستوى أقسامه الثلاثة: الاسمي، والفعلي، والجملي؛ وبناء على ذلك فقد أفضى البحث إلى نتيجتين مختصرتين تتمثلان في ما يلي:

- يؤدي الاستبدال إلى توسيع دلالات النص، بخلاف الحذف والاشتمال اللذين يؤديان إلى الاختصار.
- يعد الاستبدال من عوامل الإقناع، شريطة الالتزام بالتنويع، أي بصيغ شتى وسياقات متنوعة ليكون أكثر فاعلية في الإيحاء المستمر؛ لأنه يجنب السامع/القارئ الملل والسأم، ويذكّره باستمرار الهدف، ويعمق النوعية بالمعنى المقصود منه.
- يعد الاستبدال عاملًا مهمًا من عوامل ربط النصوص فيؤدي إلى تماسك الخطاب وانسجامه مع إضفائه دلالات متعددة على النص توكيدًا للمعنى واهتماما به؛ ويأتي ذلك باستبدال لفظة بأختها مع المحافظة على سياق الكلام وانتظامه داخل بنية النص القرآني الكبرى، ويتمثل هذا الدور في تتبع ألفاظ الاستبدال في سياقات النصوص القرآنية.
- يختزل الاستبدال ظاهرتي الحذف والتكرار؛ وبهذا يؤدي إلى الإيجاز، ويسهّل تقريب المعاني، ودلالات الألفاظ للقارئ، وبه يتحقق نوع من الروابط النصية في اتساق وانسجام النص/الخطاب في سبيل تحقيق الاتساق والانسجام النصي.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، فنجد منها أن الاستبدال وسيلة مهمة من وسائل هي تماسك الخطاب وانسجامه، كما أنه عامل أساس في توليد دلالات النص وتنوعها في ظل السياقات المختلفة، وعليه فإن الدراسات اللغوية والنصية والتداولية بخاصةً في جانب النص القرآني تحتاج إلى مزيد قراءات متعددة تبيِّن مدى فاعليتها؛ لأن دلالاته متجددة عبر الزمان، وتختلف باختلاف آليَّات اللغة ومناهجها الحديثة، كما يجب صرف النظر نحو تدبر هذا البيان القرآني ليظهر ما يميزه عن سائر النصوص في انتظام ألفاظه ودقه معانيه، وتكثيف البحث في الموضوعات الجزئية للنص

القرآني، لما يساعد في الكشف عن أسرار هذا الكتاب الحكيم.

البيبليوغرافيا:

١. إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت،ط١، ١٩٨٨م.

٢. إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣. ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د.ت.

٤. ابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس،١٩٨٤م.

٥. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٩٧٩م.

٦. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٧. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.

٨. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٩. أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزگين، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١٣٨١هـ.

١٠. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

١١. أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٢. أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٣. أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٤. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية العلوم-جامعة القاهرة، د.ت.

١٥. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن

العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٦. الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١، ١٤٢٢ه.

١٧. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة - الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

١٨. الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم-بيروت، ط١، ١٤١٢ه.

١٩. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب-القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠. زتسيسلاف وأورزيناك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع-القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.

٢١. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٢. الزمخشري، شرح المفصل، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٣. سلمان عباس عيد، تقويم الفكر النحوي عند اللسانيين العرب، دار الكتب العالمية بيروت، د.ت.

٢٤. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجا، مجلة علوم اللغة، ج: ٩، العدد: ٢، ٢٠٠٦.

٢٥. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م.

٢٦. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٧. عبد الله بن يوسف ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

٢٨. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م، ج: ٣، ص: ٣٩٣، والسيوطي، معترك الأقران، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٩. فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار-عمَّان، ط٤، ٢٠٠٦م.

٣٠. فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

٣١. فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر

السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى- دمشق،٢٠١١م.

٣٢. الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط١.

٣٣. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، د.ت.

٣٤. محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣٥. محمد بن عبد الله الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠١م.

٣٦. محمد بن عمر بن الحسن الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ه.

٣٧. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

٣٨. محمد حماسة، بناء الجملة العربية، دار الشروق- القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

٣٩. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٤٠. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي-بيروت، ط٢، ١٩٨٦.

1. Halliday &Ruqaiya Hasan (1976), Cohesion in English. London Longman Grou.